منهج الإمام العيني في الاحتجاج بالقراءات من خلال كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري

(Imam Al-Aini's approach to citing readings through his book Umdat Al-Qari Sharh Sahih Al-Bukhari)

Hossameldin Abdalla Ahmed Mahmoud
Faculty of al-Quran and Sunnah, Kolej Universiti Islam Perlis (KUIPs) 02000, Kuala Perlis, Perlis, Malaysia
E-mail: dr.hossameldin@kuips.edu.my

Article Progress:

Submission date: 01-12-2023
Accepted date: 20-12-2023

ABSTRACT

Qur'anic studies are of special importance because they are concerned with the study of the Book of God Almighty. So, readings is one of the most honorable sciences because it is related to the Book of God Almighty. Therefore, scholars of readings, interpretation, hadith and language took great care of it. Hence my choice for this paper in which I talked about the approach of Imam al-Ayni in his presentation of the Qur'anic readings, and his protest with them in his book Umdat al-Qari Sharh Sahih al-Bukhari. In presenting the readings, he was not limited to the mutawaatir without the abnormal ones, as he meant attributing many of the readings to their owners, judging them, and weighting them, and Imam Al-Aini was concerned with protesting the readings in terms of meaning, interpretation and language.

Keywords: *Imam al-Ayni; the protest for readings; Umdat al-Qari; al-Ayni's approach.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن علم القراءات من أجلّ العلوم قدراً، وأرفعها ذكراً، وأولاها بالاهتمام والرعاية، لشدة تعلّقه بالقرآن الكريم، ولاتصال أسانيده برسول الله ﷺ.

ولما كان استمداد علم القراءات وثيق الصلة بالنقول الصحيحة عن النبي ﷺ، وكان من ثمرات هذا العلم التمييز بين ما يُقرأ وما لا يقرأ به، أضحت العلاقة بين علمي الحديث والقراءات وطيدة الصلة.

وقد احتوت كتب السنة على نصوص كثيرة تتعلق بالقراءات، فمنها ما يتعلق بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، ومنها ما يتعلق بفضله، وآداب تلاوته، وتعلمه وتعليمه، وغير ذلك من الجوانب المهمة في القراءات وعلوم القرآن.

ولكي يتسنى للناس فهم معاني الآيات وتدبرها، هيئ الله عز وجل لهذا الكتاب الكريم على تطاول الأزمان رجالاً تحملوا المسؤولية فأفنوا في ذلك حياتهم وبذلوا أعز أوقاتهم، ومن هؤلاء الرجال الإمام الحافظ بدر الدين العيني رحمه الله الذي بلغ من المكانة العلمية العالية ما

وقد حظيت بعض الدراسات حول القراءات بعناية الباحثين، إلا أن المطلع على هذه الدراسات يجد أن العناية بالقراءات في مصادر السنة لا تزال بحاجة إلى مزيد العناية والاهتمام من قبل الدارسين في تخصص القرآن وعلومه.

ولذا اخترت هذا البحث المعنون له بـ: "بدر الدين العيني ومنهجه في الاحتجاج بالقراءات من خلال كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري"؛ للمساهمة في إبراز جانب علم القراءات في كتب السنة.

وتأتي أهمية الموضوع وأسباب اختياره في:

أولا: الرغبة في المشاركة في خدمة هذا العلم الجليل المتعلق بكتاب الله تعالى.

ثانيا: شرف العلم بالقراءات القرآنية؛ لشرف التنزيل، وشرف العلم بالسنة النبوية؛ لشرف المنزّل عليه، وهو رسول الله ﷺ.

ثالثا: تناول هذا الموضوع علم القراءات بين الرواية والدراية.

الدراسات السابقة:

وقفت على بعض البحوث التي لها صلة بدراسة القراءات في كتب السنة، منها:

1- منهج الحافظ ابن حجر في الاحتجاج بالقراءات من خلال كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري، للدكتور: أكرم شهاب والباحث: علاء محمد، منشور بمجلة مداد الآداب-العدد الخامس عشر.

2-القراءات الواردة في السنة، إعداد: أ. د أحمد عيسى المعصراوي، دار السلام، الطبعة الأولى، 1427هـ.

خطة البحث:

تضمنت خطة البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

-المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه.

-التمهيد: 1- التعريف بالإمام العيني وكتابه عمدة القاري.

2- التعريف بعلمي القراءات والحديث والعلاقة بينهما.

-المبحث الأول: منهج الإمام العيني في عرض القراءات، ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: منهجه في عرض القراءات المتواترة.

المطلب الثاني: منهجه في عرض القراءات الشاذة.

-المبحث الثاني: منهج الإمام العيني في الاحتجاج بالقراءات، ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول: احتجاجه بالقراءات على شرح الآيات، وبيان معانيها.

المطلب الثاني: احتجاجه بالقراءات على بيان نطق الألفاظ المختلف في روايتها في الحديث.

المطلب الثالث: احتجاجه بالقراءات على بيان معاني ألفاظ الحديث.

المطلب الرابع: احتجاجه بالقراءات على المسائل اللغوية.

-الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث: اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي.

التمهيد: وفيه:

1- التعريف بالإمام العيني وكتابه عمدة القاري.

أولاً: التعريف بالإمام العيني: (ابن حجر، 1998).

-اسمه ونسبه ومولده:

هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود القاضي، العنتابي المولد، ويُعرف بالعيني، لقبه بدر الدين، وكنيته: أبو الثناء، وأبو محمد.

ولد في السادس والعشرين من شهر رمضان سنة: (762هـ)، في درب كيكن بعين تاب، كما ذكر ذلك تلميذه ابن تغري بردي، أما السخاويّ فذكر أنه ولد في السابع والعشرين من رمضان في العام نفسه.

-نشأته وطلبه للعلم:

نشأ العينيُّ في بيت علم وصلاح وديانة، حيث كان والده قاضياً، وجدّه مقرئاً للقرآن، فحفظ القرآن في الصغر، ولازم الشمس محمد الراعي في الصرف والعربية والمنطق، وكذا أخذ الصرف والفرائض السراجية وغيرهما عن البدر محمود بن محمد العنتابي الواعظ (ت:805هـ).

وقرأ المفصَّل في النحو والتوضيح مع متنه التنقيح على الأثير جبريل بن صالح البغدادي (ت:794هـ)، والمصباح في النحو على خير الدين القصير (ت:792هـ)، وسمع ضوء المصباح على ذي النون (ت:777هـ)، وتفقّه بأبيه، وقرأ على حسام الدين الرهاوي مصنفه البحار الزاخرة في الفقه على المذاهب الأربعة، ولازم في المعاني والبيان والكشاف وغيرهما الفقيه عيسى بن الخاص السرماري (ت:788هـ)، ولقد برع في هذه العلوم وناب عن أبيه في القضاء.

-رحلاته العلمية:

لم يكتف البدر العيني بما نهله من علماء بلده من العلم، بل دفعه طموحه إلى الرحلة في طلب العلم، فرحل إلى حلب سنة (783هـ)، فقرأ بها على الجمال يوسف الملطي (ت:803هـ)، وسمع عليه بعض الهداية وشرح الأخسيكتي في الفقه الحنفي، وأخذ عن حيدر الرومي شرحه على الفرائض، ثم عاد إلى بلده حيث توفي والده في السنة التي تليها (784هـ).

ورحل كذلك إلى بهنسا، فأخذ عن ولي الدين البهنسي، وإلى كختا فأخذ عن علاء الدين الكختاوي، وإلى ملطية فأخذ عن بدر الدين الكشافي، ثم عاد إلى بلده فارتحل منها إلى الحج، فحجَّ ودخل دمشق.

ثم زار العينيُّ بيت المقدس سنة (788هـ) فلقي فيها علاء الدين السيرامي فلازمه في الفقه وأصوله والمعاني والبيان وغيرها.

وفي القاهرة أخذ العينيُّ الحديث وعلومه عن كبار محدثيها، حيث أخذ محاسن الاصطلاح في علم الحديث عن مؤلّفه سراج الدين البلقيني (ت:805هـ)، وسمع الشاطبية على أبي الفتح العسقلاني (ت:793هـ)، وعلى الزين العراقي (ت:806هـ) صحيح مسلم، والإلمام لابن دقيق العيد، وسمع على التقي الدجوي (ت:809هـ) الكتب الستة، ما خلا النسائي، وانتفع في النحو وأصول الفقه والمعاني وغيرها بالعلَّامة جبريل بن صالح البغدادي، وأخذ سنن الدارقطني عن نور الدين الفُوّيّ (ت:827هـ)، والسنن الكبرى للنسائي، والتسهيل لابن مالك، في السنة التي تليها.

-شيوخه وتلاميذه:

أخذ العينيُّ على كبار مشايخ عصره من المقرئين والمفسرين واللغويين والنحاة والفقهاء، وعن أقطاب المذهب الحنفي، وكذلك عن أرباب المذاهب الأخرى، ولقد ذكرت في رحلاته العلمية جملة من هؤلاء، وممن لم يذكر: نور الدين الهيثمي، وقطب الدين الحلبي، وشرف الدين بن الكويك، وجبريل بن صالح البغدادي، والقزويني، والمعز الحنفي، وميكائيل، وجلال الدين التباني، وحيدر الرومي، والسراج عمر، وابن الزاهد.

ولقد نهل عن العينيّ طلابٌ كثيرون، صرَّح السخاويُّ بثلاثة وخمسين منهم في الضوء اللامع، موزّعين في الكتاب من أوله إلى آخره، ومن أبرز هؤلاء التلاميذ:

كمال الدين بن الهمام، وشمس الدين السخاوي، وأبو الفضل العسقلاني، وأبو البركات العسقلاني، والطنوبي، وابن تغري بردي، وغيرهم كثير.

-آثاره العلمية:

ترك العينيُّ ذخيرة علمية هائلة، فهو من أكثر العلماء تأليفاً، ومن أبرزهم جمعاً وتمحيصاً، ولكننا اليوم لا نجد من مؤلفاته إلا القليل، منه ما هو مطبوع ومنه ما هو مخطوط ومنه ما هو مفقود، وسأكتفي بذكر المطبوع فقط.

من أشهر مؤلَّفاته المطبوعة: البناية في شرح الهداية: في الفقه الحنفي، ورمز الحقائق شرح كنز الدقائق: في الفقه الحنفي، والروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، والسيف المهند في سيرة الملك المؤيد، والعلم الهيب شرح الكلم الطيب، وعمدة القاري في شرح صحيح البخاري –وهو موضوع البحث–، وفتوى في كتابة التاريخ، وشرح سنن أبي داود، وغيرها.

–ثناء العلماء عليه:

1– قال السخاويُّ (ت: 902هـ): «كان إماماً عالماً علّامة؛ عارفاً بالصرف والعربيّة وغيرها؛ حافظاً للتاريخ وللغة، كثير الاستعمال لها، مشاركاً في الفنون» (السخاوي: د.ت).

2– وقال عنه السيوطيُّ (ت: 911هـ): «كان إماماً عالماً علَّامة؛ عارفاً بالعربية والتصريف وغيرهما، حافظاً للغة» (السيوطي: د.ت).

–وفاته: توفي العينيُّ رحمه الله ليلة الثلاثاء في 4 ذي الحجة سنة 855 هـ، ودفن بمدرسته التي أنشأها بعد أن صلى عليه المناوي بالأزهر.

ثانياً: التعريف بكتاب عمدة القاري:

هو أشهر وأعظم مؤلفات العيني، وأجلّ شروح صحيح البخاري، ابتدأ تدوينه في آخر رجب (820هـ)، وفرغ منه في الخامس من جمادى الأولى (847هـ)، والكتاب مطبوعٌ في خمسة وعشرين جزءاً، وهو بخط مؤلّفه في واحد وعشرين جزءاً.

ولقد بيّن العينيُّ السبب في تأليف كتابه هذا فقال في مقدمته:

1– أن يُعلم أنَّ في الزوايا خبايا وأنَّ العلم من منايح الله عز وجل ومن أفضل العطايا.

2– إظهارُ ما منحني الله من فضله الغزير، وإقداره إيَّايَ على أخذ شيء من علمه الكثير، والشكر مما يزِيد النعمة، ومن الشكر إظهار العلم للأمة.

3– كثرةُ دعاء بعض الأصحاب بالتصدي لشرح هذا الكتاب على أنّي قد أملتهم بسوف ولعلَّ، ولم يجد ذلك بماا قل ودل.

ثم قال: «ونزلتُ في فناء ربع هذا الكتاب، لأُظهر ما فيه من الأمور الصعاب، وأُبيّن ما فيه من المعضلات، وأوضح ما فيه من المشكلات، وأُورد فيه من سائر الفنون بالبيان ما صعب منه على الأقران!، إلى أن يقول: «وخضت فِي بحار التدقيق سائلاً من الله الإجابة والتوفيق، حتَّى ظفرتُ بدرر استخرجتُها من الأصداف، وبجواهرٍ أخرجتُها من الغلاف! (العيني: د.ت).

ثم ذكر سنده في هذا الكتاب إلى الإمام البخاري من طريقين: الأولى: طريق الإمام العراقي، والثانية من طريق تقي الدين الدجوي.

ثم ذكر عشر فوائد تتعلق بالصحيح قبل أن يشرع في شرحه، ولم يسر في شرحه على منهج واحد، حيث أطال في الأجزاء الأربعة الأولى منه عن بقية أجزاء الكتاب.

ولقد أكثر العينيُّ في الكتاب النقل عن الكرماني شارح البخاري، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث، وعن الهروي في الغريبين، وعن الأزهري في التهذيب، والقرطبي في التفسير، والخليل بن أحمد في كتاب العين، وقطب الدين الحلبي في شرح البخاري، وغيرهم.

2- التعريف بعلمي القراءات والحديث والعلاقة بينهما.

أولا: تعريف علمي القراءات والحديث:

القراءات لغة:

القراءات جمع قراءة، على وزن (فِعَالة)، وهي مصدر للفعل (قرأ)، والفعل يأتي بمعنى: الضمّ والجمع، يقال: قرأتُ الشيء قُرآنًا: أي جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض، ويأتي بمعنى: التلاوة، وهي النطق بالكلمات المكتوبة (ابن منظور، 1993).

القراءات اصطلاحاً:

عرَّف العلماءُ القراءات بعدّة تعريفات، منها:

1- «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزوًّا لناقله» (ابن الجزري، 1999).

2- «هو علمٌ يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها، اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه لناقله» (القاضي: د.ت).

الحديث لغة:

تعريفه لغة: ضد القديم (ابن منظور، 1993).

وفي الاصطلاح:

ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام (السخاوي،2001)، وهو مرادف للسنة، والخبر، والأثر، وقيل: بينها فروق (البخاري، 1986).

ثانياً: العلاقة بين علمي القراءات والحديث:

يمكن إجمال العلاقة بينهما في عدّة نقاط، وهي كما يلي:

1- أنَّ موضوع علم القراءات هو القرآن الكريم، ومن ثمّ فإن العلاقة بين القرآن والحديث تظهر واضحة جلية، فكلاهما وحيٌ من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4]، وهما أبداً متعاضدان، حتى إن كل واحد منهما يخصّص عموم الآخر، ويبيّن إجماله، ويوضّح مشكله (الزركشي، 1957)، وهذا

ينطبق على كل ما يسمى قرآنًا من القراءات المقبولة (يحيى زمزمي، 2001).

1- أنَّ القراءات القرآنية منقولة إلينا عن طريق الإسناد، فهو وسيلة يتوقف العلم بالقراءة عليها، قال البقاعيّ: «...أما على الإسناد فلأن القراءة سنة متبعة، ونقل محض، فلابد في إثباتها من صحتها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد... ولا ريب أن ذلك يتوقف على علم الحديث» (البقاعي: د.ت).

2- أنَّ تواتر إسناد القراءة شرط لصحتها -كما سبق بيانه-، وهذا مما يؤكد شدّة المؤاخاة بين علمي القراءات والحديث.

3- من مظاهر العلاقة بين القراءات والحديث أن كثيراً من القراء محدّثون، وقد برز منهم محدثون كبار أمثال الإمام عاصم بن أبي النجود (127هـ)، وشعبة بن عياش (193هـ)، وهشام بن عمّار (245هـ)، وقد اعتنى العلامة ابن الجزري (833هـ) بعلم الحديث عناية فائقة، فألّف فيه نظماً سمَّاه: (الهداية في علم الرواية)، وفي مقابل هذا نجد من مشاهير علماء الحديث من اعتنى بالقراءات أتم عناية، كالدارقطني.

المبحث الأول: منهج الإمام العيني في عرض القراءات.

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: منهجه في عرض القراءات المتواترة.

للإمام العيني رحمه الله منهجه في عرض القراءات القرآنية، أجملها في ما يأتي:

أولا: يحكم بشهرتها. ومن أمثلة ذلك:

1- قراءة (ولا تُصَاعِرْ) من قوله تعالى: (وَلا تُصَعّر خَدَّك للنَّاسِ).

قال الحافظُ العينيُّ: «وَكَأَنَّهُ جعل الإعراض بمعنى التصغير المستفاد من: لا تُصعِّر، وقال الطبريُّ: أصل الصَّعْر: داءٌ يأخذُ الإبل في أعناقها حتَّى تلوي أعناقها عن رؤوسها، فيُشبَّه به الرجلُ المعرضُ عن النَّاس المتكبر، وقراءة عاصم وابن كثير وابن عامر: (وَلَا تُصَعِّرْ)، وقراءةُ الباقين: (وَلا تُصَاعِرْ)، والقراءتان مشهورتان ومعناهما صحيح! (العيني: د.ت).

2- وقراءة (حِرْمٌ) من قوله تعالى: (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا).

قال العينيُّ: «والغرضُ من هذه الآيات أنَّ الإيمان والكفر بتقدير الله تعالى، وقرأ أهل الحجاز والبصرة والشام: (حَرَامٌ)، وقرأ أهل الكوفة: وَحِرْمٌ، والقراءاتان مشهورتان! (العيني: د.ت).

ثانياً: يعرضها ثم يرجّح بينها. ومن أمثلة ذلك:

1- في قوله تعالى: (هِيَ أَشدُّ وَطْئاً) أورد الإمام العينيُّ قراءتين، الأولى: قراءة أبي عمرو وابنِ عامر: (أَشدُّ وِطآءً) بكسر الواو ومدّ الألف، والثانية: (وَطْئاً) بِنصب الواو بغير مدٍّ وهي قراءة الباقين. ثم قال: «فمن قرأ بالكسر -أي: (وِطآءً)- يعني: أَشد مواطاة، يعني: أنَّ القراءة فِي الليل يتواطؤ فيها قلبُ المصلي ولسانُه وسمعُه على التفهّم! ثم رجّح قراءة النصب بقوله: «ومن قرأ بالنصب-أي: وطئاً- أبلغ في القيام وأبين في القول! (العيني: د.ت).

2-وأورد الحافظ العينيُّ في لفظة: (نُصُبٍ) من قوله تعالى: (إِلى نُصُبٍ يُوفِضُون) قراءتين، الأولى: (نَصْبٍ) بفتح النون وسكون الصاد، كذا في رواية الأكثرين، وفي رواية أبي ذر: بالضم، ثم رجّح قراءة الفتح فقال: «والأول أصح، وهو قراءة الجمهور! (العيني: د.ت).

ثالثاً: يذكرها ثم ينقل اختيار العلماء لها، ومن أمثلة ذلك:

1-ما نقله من اختلاف القراء في لفظة: (الدَّرْكِ) من قوله تعالى: (إِنَّ المنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ)، فذكر أنَّ لفظة (الدَّرْكِ) فيها قراءتان: فتح الراء وإسكانها، ثم نقل اختيار الزجَّاج للقراءة الأولى، فقال: «واختار الزّجاجُ الفتح...وعليه المحدّثون! (العيني: د.ت).

2-وكذلك نقل في قوله تعالى: (تجارة) قراءتين: الأولى: (تجارةً) بالنصب، والثانية: (تجارةٌ) بالرفع، ثم نقل عن أبي عبيد اختياره لقراءة النصب، وعن أبي حاتم اختياره لقراءة الرفع (العيني: د.ت).

3-وكذلك نقل اختلاف القراء في لفظة: (دكًّا) من قوله تعالى: (فلمَّا تجلَّى ربُّه للجَبلِ جَعلَهُ دكًّا)، فقال: «قرأ أهل المدينة والبصرة بالقصر والتنوين، وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد القاسم بن سلام، وقرأ أهل الكوفة بالمد، أي: جعله مثل الأرض وهي الناتئة لا تبلغ أن تكون جبلاً! (العيني: د.ت).

المطلب الثاني: منهجه في عرض القراءات الشاذة.

للإمام العيني منهجه في عرض القراءات الشاذة، فتارة يصرح بشذوذها وقد يذكر من قرأ بها أو لا يذكر، وتارة لا يصرح بشذوها، ويكتفي بقول: قرئ، وتارة أخرى يستدل بها في مسألة أو حكم شرعي، وسوف أوضح هذه الطرق بالأمثلة.

الطريقة الأولى: قراءات يعرضها ثم يحكم عليها بالشذوذ.

من أمثلة ذلك:

1-عند قوله تعالى: (وأذانٌ من الله ورسوله إلى النَّاسِ يومَ الحجِّ الأكبرِ أنَّ اللهَ بريءٌ من المشركينَ ورسولُه) قال الحافظ العينيُّ: «(وَرَسُولُه) فيه قراءتان: الرفع وهي القراءة المشهورة، ومعناه: ورسولُه أي بريءٌ من المشركين، والنصب ومعناه: وأنَّ رسولَ الله بريءٌ من المشركين، وهي قراءةٌ شاذة! (العيني: د.ت).

2-في قوله تعالى: (وَإِن نكثوا أيمانهم) قال الحافظ العينيُّ: «قوله: أيمانهم: أي عهودهم، وعن الحسن البصري بكسر الهمزة، وهي قراءة شاذة! (العيني: د.ت).

الطريقة الثانية: قراءات يعرضها دون أن يحكم بشذوذها، فيكتفي بقوله: قرئ.

– من أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: (وَعِنْده مفاتح الْغَيْب لَا يعلمهَا إلاّ هُوَ) قال الحافظ العينيُّ: «أي: وفي علم الله مفاتح ما لا يُعلم من الأمور... ثم قال: وقرُىء: (مَفَاتِيح الغيبِ) جمع مِفْتَاح! (العيني: د.ت).

الطريقة الثالثة: قراءات شاذة يعرضها من باب الاستدلال بها.

أ–استدلاله بالقراءة الشاذة على المعنى.

من أمثلة ذلك:

1– عند قوله تعالى: (وَتَكونُ الْجِبَالُ كالعهنِ المنفوشِ) قال العينيُّ: «العهن: الصُّوف، وكذلك قرأ عبد الله بدل العهن (الزمخشري، 1986)، ذكره ابن أبي داود عنه، والمنفوش: المندوف! (العيني: د.ت).

2– كذلك: عند قوله تعالى: (إِنَّمَا يخْشَى اللهُ) قال: «وقُرئ: برفع لفظة: (اللهُ)، ونصب لفظة: (الْعلمَاءَ)، وهي قراءة عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة رضي الله عنهما (ابن الجزري: د.ت)، ووجه هذه القراءة: أنّ الخشية فيها تكون استعارة، والمعنى: إِنَّمَا يُجلّهم ويُعظّمهم، ومن لوازم الخشية التعظيم، فيكون هذا من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم (العيني: د.ت).

ب–استدلاله بالقراءة الشاذة لبيان حكم فقهي.

من أمثلة ذلك: عند قول الله تعالى: (والسَّارقُ والسَّارقةُ فاقْطَعُوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله) استدل بدرُ الدين العينيّ بالقراءة الشاذة: (وَالسَّارِقُ والسَّارقةُ فَاقْطَعُوا أيمانهما) على أنَّ قطع اليد هنا لليمني كما هو إجماع الفقهاء (العيني: د.ت).

المبحث الثاني: منهج الإمام العيني في الاحتجاج بالقراءات.

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: احتجاجه بالقراءات على شرح الآيات، وبيان معانيها.

احتجَّ الحافظُ العينيُّ رحمه الله بالقراءات القرآنية على شرح بعض الآيات وبيان معانيها.

فمن ذلك: احتجاجُه بقراءة الضمّ في لفظة: (جُمَالات) من قوله تعالى: (كَأَنَّه جِمالَاتٌ صُفْر) بالمرسلات، حيث فسَّر العينيُّ لفظ (جُمالات) بالحبال، وقال: «الجُمالات: الحبالُ التي تُشدُّ بها السُّفُن، وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: جُمالاتٌ صُفر، هي حبالُ السُّفُن، يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال! (العيني: د.ت).

المطلب الثاني: احتجاجه بالقراءات على بيان نطق الألفاظ المختلف في روايتها في الحديث.

احتجَّ الحافظُ العينيُّ رحمه الله بالقراءات القرآنية في شرحه لأحاديث الصحيح، وذلك في مواضع مختلفة، وكان استدلاله بالقراءات لبيان كيفية أداء ونطق لفظة من الحديث.

فمن ذلك: احتجاجُه بالقراءة المتواترة: (بالغُ أمره)، على شرحه لفظ: «حاملٌ أمامةَ!، التي ورد ذكرها في حديث أبي قتادة الأنصاري: «أنَّ رسول الله كان يُصَلِّي وهو حاملٌ أُمامةَ بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، ولأبي العاص بنِ ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجدَ وضعها، وإذا قامَ حملَها!.

قال الإمامُ العينيُّ في شرحه لهذا الحديث: «ولفظُ "حَامِلٌ" بالتنوين، و"أُمامةَ"، بِالنّصب، وهو المشهور، ويُروى بالإضافة، كما في قوله تعالى: (إن الله بالغُ أمرِه) بالطلاق: 3، بالوجهين في القراءة (العيني: د.ت).

المطلب الثالث: احتجاجه بالقراءات على بيان معاني ألفاظ الحديث.

احتجَّ الحافظُ العينيُّ بالقراءات القرآنية على بيان معنى لفظة وردت في الحديث.

فمن ذلك:

1- احتجاجه بقراءة شاذة وهي: (الآخرةِ) بالجر، من قوله تعالى: (واللهُ يُريدُ الآخِرةَ)، وذلك لبيان لفظة وردت في حديث: (وإذا لها قرنان)، قال العينيُّ في شرحه للحديث: «إما أن يُقال تقديره: فإذا لها مثل قرنين، فحذفَ المضاف وتركَ المضافَ إليه على إعرابه، وهو كقراءة: (وَاللهُ يُرِيد الْآخِرَةِ} بجرِّ (الْآخِرَة)، أي: عرضَ الْآخِرَةِ (العيني: د.ت).

2- احتجاجه بالقراءة المتواترة (لتركَبَنَّ) بفتح الباء، من قوله تعالى: (لتركَبُنَّ طبقاً عن طبق)، لبيان لفظة وردت في حديث ابن عباس: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ!.

قال العينيُّ في شرحه للحديث: «الخطابُ في لتركبَنَّ للنَّبِي ﷺ وهو على قراءة فتح الباء الموحد فافهم، ومعناه: الآخرة بعد الأولى! (العيني: د.ت).

المطلب الرابع: احتجاجه بالقراءات على المسائل اللغوية.

1-احتجَّ الحافظ العينيُّ بقراءة ابن عامر (وكذلك زُيِّنَ لكثيرٍ من المشركينَ قتلُ أولادَهُم) على شرح لفظة: (تاركو لي صَاحِبي) التي ورد ذكرُها في حديث أبي الدرداء τ أنه قال: «كنتُ جالساً عند النبيّ ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بِطَرَف ثوبه ... فهل أنتم تاركو لي صاحبي! الحديث، احتجَّ بجواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور.

قال الحافظ العينيُّ: «قوله: (لي) فصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الاختصاص ... وفي هذا ردٌّ على أبي البقاء؛ حيث يقول: إنَّ حذف النُّون من خطأ الرواة؛ لأنَّ الكلمة: ليست مضافة ولا فيها ألف ولام، ولا وجه لإنكاره لوقوع مثل هذا كثيراً في الأشعار وفي القرآن أيضاً في قراءة ابن عامر: (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قتلُ أَوْلَادَهم شُركائِهم) بِنصب (أَوْلَادَهُم)، وجرّ (شُركائِهم) (العيني: د.ت).

2-كذلك: احتج بالقراءة الشاذة (أَحْسَنُ) بضمّ النون، من قوله تعالى: (ثم ءاتينا موسى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) بما أورده الإمامُ البخاريُّ في كتاب فرض الخُمُس: بابٌ ومِنَ الدَّلِيلِ علَى أنَّ الخُمُسَ لِلإمَامِ وأنَّهُ يُعْطِي بعض قَرَابَتَه دُونَ بَعْضٍ مَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِي المطَّلِبِ وبَنِي هاشِمٍ مِنْ خَمْسِ خَيْبَرَ، قالَ عُمَرُ بنُ عبْدِ العَزِيزِ: «لم يَعُمَّهُمْ بِذَلِكَ، ولَمْ يَخُصَّ قَرِيباً دُونَ مَنْ أحْوَجُ إلَيْهِ!.

علَّق الحافظُ العينيُّ في شرحه على الحديث فقال: «قوله: (مَنْ أحْوجُ إلَيْهِ) أي: من أحوجُ هو إليه، قال ابن مالك: فيه حذف العائد على الموصول، وهو قليلٌ، ومنه قراءة يحي بن يعمر: (تَمامًا عليَّ الَّذِي أحْسَنُ) بضم النُّون، أي: الذي هو أحسنُ (العيني: د.ت).

أهم نتائج هذا البحث ما يلي:

أولا: فضل علم القراءات وأثره على العلوم الأخرى، ومنها علم الحديث، إذ بينهما ارتباط وثيق.

ثانياً: عناية علماء الحديث بالقراءات في مصنفاتهم، فمنهم من أفردها بالتصنيف، ومنهم من ضمنها في مصنفاته ومن هؤلاء العلماء المحدثين الحافظ بدر الدين العيني، فقد أولى علم القراءات عناية فائقة.

ثالثا: عنى الحافظ العيني بتوجيه القراءات والاحتجاج لها من حيث المعنى والتفسير واللغة والمسائل الفقهية.

رابعاً: منهج الحافظ العيني في عرض القراءات لم يقتصر على المتواتر دون الشاذ، كما أنه نسب كثيرا من القراءات إلى أصحابها، وحكم عليها.

المصادر والمراجع:

Alsuyutii (1974) , al'iitqan fi eulum alquran, , tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi.

Alshuwkanii , albadr altaalie bimahasin min baed alqarn alsaabiei, , dar almaerifat - bayrut.

Alqadi , albadur alzaahirat fi alqira'at aleashr almutawatirati, , dar alkitaab alearbi-birut.

Alzarkashii (1957) , alburhan fi eulum alqurani, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, dar 'iihya' alkutub alearabiati, altabeat al'uwlaa.

Alsuyuti , baghyat alwueat fi tabaqat allughawiiyn walnahati, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, almaktabat aleasriat - lubnan.

Alnueaymi (2004), taysir mustalah alhadithi, maktabat almaearif lilnashr waltawziei, altabeat aleashirati.

Aleasqalanii (1998), rafe al'iisr ean qudat masr, tahqiqu: da. eali muhamad eumr, maktabat alkhanji, alqahirati, altabeat al'uwlaa.

Alsakhawii , aldaw' allaamie, , dar maktabat alhayati-birut.

Albaqaei ,aldawabit wal'iisharat li'ajza' eilm alqira'ati, , tahqiqu: muhamad mutie alhafizi, dar alfikr liltibaeat walnashr waltawziei.

Alsuyutii ,(1976),tabaqat almufasirin aleishrina, tahqiqu: eali muhamad eumr, maktabat wahbat - alqahiratu, altabeat al'uwlaa.

Alainy ,eumdat alqariy sharh sahih albukhari, , dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.

Alsakhawii (2001)alghayat fi sharh alhidayat fi eilm alriwayati, , tahqiqu: 'abu eayish eabd almuneim 'iibrahim, maktabat 'awlad alshaykh liltarathi, altabeat al'uwlaa.

Alfarahidi ,ktab aleayni, , tahqiqu: d mahdi almakhzumi, d 'iibrahim alsaamaraayiy, dar wamaktabat alhilal.

Alzumakhshirii (1987)alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzili, , dar alkitaab alearbi-birut, altabeat althaalithat.

Ibn manzur al'iifriqaa (1994),lsan alearbi dar sadir - bayrut, altabeat althaalithata.

yahyaa zamzami (2001) masadir alhafiz aibn hajar warawuh fi masayil alqira'ati, , majalat jamieat 'am alquraa lieulum alsharieat wallughat alearabiat wadiabha..

Alfara' ,maeani alqurani tahqiqu: 'ahmad yusif alnajati wazumalawuhu, dar almisriat liltaalif waltarjamati.

Alhamawi (1995)maejam albildan, , dar sadir- bayruta, altabeat althaaniati, 1995m.

Albukharii (1986),muqadimat fi 'usul alhadithi, tahqiqu: salman alhusaynii alnadawii, dar albashayir al'iislamiat - bayruta, altabeat althaaniati.

Ibn aljazarii (1999) munjid almaqriiyn wamurshid altaalibina, , dar alkutub aleilmiati-biruta, altabeat al'uwlaa..